جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

أيام العرب في شعر جرير

الدكتور
محمود خلف البادي
أستاذ مساعد في أدب الدول المتتابعة في قسم اللغة العربية
بجامعة الجوف بالمملكة العربية السعودية

العدد التاسع عشر
للعام ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م
الجزء الثالث
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٥م
الترقيم الدولى ISSN 2356-9050

أيام العرب في شعر جرير

ملخص البحث

الدكتور محمود خلف البادي(*)

البحث في محورين أساسيين: فالأول تناول تعريف النقائض وارتباطها بأيام العرب الجاهلية التي افتخر بها جرير على خصومه ،وهو افتخار بالنصر في حقيقة الأمر لكلا المتناقضين ، وتناول هذا المحور الحديث عن يوم الإياد، ويوم المرّوت، ويوم الوقيط وغيرها من الايام التي وردت في ثنايا البحث، أما المحور الثاني، فقد تحدث باختصار عن أيام العرب بين النقائض في العصر الأموي والشعر الجاهلي، لكونها تُعدّ مصدراً مهماً للتراث الجاهلي وهي في الوقت عينه بيان العوامل التي دفعت النقائض إلى المنحى السياسي كالفراغ الذي كان يشعر به الناس في ظل حضارة جديدة،فضلاً عن المحاورات العقلية والفلسفية التي شغلت البصرة على أيدي علمائها،مع رغبة البيت الأموي في تحييد القبائل العربية عن السياسة.

بيّن البحث مستخدما المنهج الوصفي والمنهج التحليلي قيمة شعر النقائض وأهميته، حيث يميل إلى التعمق والاستطراد.

الكلمات المفتاحية: النقائض، أيام العرب، جرير والفرزدق، الشعر الجاهلي والنقائض، قيمة شعر النقائض.

(*) أستاذ مساعد في أدب الدول المتتابعة في قسم اللغة العربية بجامعة الجوف بالمملكة العربية السعودية.

Arab Days in the Poetry of Jarir

ABSTRACT

Dr Mahmoud Khalaf Al Badi*

The research has come into two basic topics: the first dealing with the definition of The Opposites Poetry and its relation with TheDays Of The Arabs during the Jaahiliyyah by which Jarir boasted on his opponents, butthis boast, in fact, was a victory of each of the two opposites, and addressing the days:Aleyad day,Almeroot day and Alwakit day and other days which came throughout the research .The second topic, discussing brieflyThe Opposites Poetry of the days of the Arabs between and the pre-Islamic and Umayyad poetry , Which is considered an important source of pre-Islamic heritage and it is in the same time revealing the factors which pushed The Opposites Poetry in Umayyad era to the political aspect as the people felt emptiness under a new civilization through intellectual and philosophical debates that filled Albasraby its scientists with the willing of The Umayyad Trend to neutralize The Arab Tribes from politics.

The research explores, using the descriptive and analytical approaches, the value and importance of The Opposites Poetry which tends to depth and digression.

Key words: The Opposites Poetry, Arab days, Jarir and Al Farasdaq, Pre-Islamic poetry and The Opposites Poetry,

* Assistant Professor of The Successive States Literature in The Arabic Language Department at Aljouf University- KSA.

تمهيد

قبل البدء بالحديث عن أيام العرب في شعر جرير لا بد لنا من تعريف فنّ النقائض رغم معرفته من كل دارسي الأدب ليكون القارئ على دراية به ولا سيما غير المختص، فالنقائض جمع نقيضة، وهي مأخوذة لغة من النقض في البناء وهو الهدم، ومن نقض الغَزْل بمعنى حلّه، ومن نقض العهد بمعنى عدم إبرامه(١). والمناقضة في الكلام أن يتحدث بما يتضارب معناه، والنقيضة في الشعر بمعناها لذي حدّده العُرف الأدبي: هي القصيدة التي ينظمها شاعر ليفاخر بها شاعراً آخر بنسبه وشرف قبيلته، بينما يحط فيها من قَدْره هذا الشاعر وينال من مكانة قبيلته، ويوجّه إليه ألواناً من الشتم والهجاء المقذع، فيشير بذلك حفيظة الشاعر المهجو، ويستفز غيرته على شرف قومه وكرامة قبيلته، فينبري هو الآخر لنظم قصيدة يرد بها على الشاعر الذي هجاه مُفنِّداً ما قاله(٢)، ضمن نقض المعاني التي جاء بها الشاعر الأول، ووحدة الموضوع، بمعنى معالجة الموضوع ذاته الذي عالجه الشاعر المنقوض مع وحدة الوزن الموسيقى ووحدة القافية.

ومن هنا تُعدّ أيام العرب من أهم مقوّمات النقائض ومادتها الأولية التي من خلالها تُبنى القصيدة، وتكون نقطة انطلاق تناسب موقف الشاعر، حيث يتكئ عليها في مقارعة الخصم وترويعه، فيكتسب عُلوَّ المنزلة المتميّزة بين أقرانه.

ولقد شاعت أيام العرب في شعر النقائض، وقد وظَّفها المتناقضون في أغراض مختلفة كالفخر والهجاء ووصف المعارك والرثاء، وإذا ما تفحّص الباحث هذه الأيام من جهة الزمن "فإنها ترتدُّ إلى العصر الجاهلي فتتصل بتاريخ القبائل في الماضي، وإسلامية تلامس تاريخه الحديث"(٣).

---

(١) أبو الفرج الأصبهاني "الأغاني"، دار الكتب المصرية، ١٥٢/١٠.
(٢) شوقي ضيف "العصر الإسلامي"، دار المعارف بمصر، ط٥، ص٢١٤-٢٤٣.
(٣) أحمد الشايب، "تاريخ النقائض في الشعر العربي"، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٥٤، ص: ٢٥٧-٢٥٨.

وكان كل شاعر يتحرَّك في استدعاء أيام العرب وتوظيفها في نقيضته تبعاً للموقف، كما أنه لم يكن مستدعياً لأيَّام قبيلته فحسب، بل تعدّى ذلك إلى أيام أخرى وجد فيها سهاماً يصوّبها تجاه خصمه.

وكان جرير يفتخر بأيّام لتميم تارة، وبأيّام ليربوع تارة أخرى، خاصة حينما يكون وجه مجاشع رهط الفرزدق، وأيام لقيس عيلان أمام الفرزدق والأخطل، وكان الفرزدق يفتخر بأيام تميم وبأيام دارم في وجه جرير ويذكر أيام تغلب رهط الأخطل(١).

ونعتقد أن هذا الفخر من جانب شاعر بيوم من الأيام في وجه شاعر آخر، وكذلك الفخر من قبل شاعراً آخر في اليوم عينه؛ إنما هو دليل على أن هذا اليوم كان نصراً مشتركاً في جانبٍ من جوانبه.

يوم الأياد(٢): وهو اليوم الذي التقت فيه بكرٌ ببني يربوع، حيث هُزِمَتْ بكرٌ وخلَّفت وراءها أسرى كثيرين، وفيه يفتخر جرير على الفرزدق فقال(٣):

وما شَهِدَتْ يوم الإياد مُجاشِعٌ ∴ وذا نَجِبٍ يومَ الأسِنَّةِ تَرْعَفُ

فَوارسُنا الحُوَّاط والشَّرْحُ دوَنَهُمْ ∴ وأردافنا المحبوُّ والمتنصَّف(٤)

لقد سالت الدماء من قوم الفرزدق، بينما قوم جرير نالوا كلُّ شيء من حباء وماشية وقِوام الأمر.

ويوم الإياد هو يوم العُظالى(٥)، ويوم أعشاش، ويوم مليحة، وإنما سُمّي بيوم العُظالى لأنه تعاظل فيه على الرئاسة بسطام بن قيس الشيباني، وهانئ بن

---

(١) أحمد اشلايب، "تاريخ النقائض"، ص٢٥٨.

(٢) الإياد: موضع بالحَزْن لبني يربوع بين الكوفة وفيد، ياقوت الحموي، "معجم البلدان"، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، ج٣/ ٢٧٨.

(٣) جرير، "الديوان "، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ص:٢٩٦

(٤) الحَّواط: قوام الأمر، "لسان العرب" (حوط)، ١٥/٧.
المحبو: الذي تحبوه الملوك، أي تعطبه الحباء، "لسان العرب"، (حبا): ١٦٠/١٤
المتنصف: الذي يعطي النصف، اللسان(نصف)، ٣٣٠/٩

(٥) ياقوت الحمور، "معجم البلدان"، ص: ١٣٠/١٤.

قبيصة، ومفروق بن عمر والحوفزان- والتعاظُل هو الاجتماع والاشتباك – وفي هذا اليوم فرَّ بسطام بن قيس الشيباني فقال فيه العوَّام الشيباني (ابن حوشب)[١]:

إنْ يَكُ في يومِ الغبيطِ ملامةٌ ∴ فيومُ العُظالى كانَ أخزى وألْوما
أناخُوا يُريدون الصَّباح فضبَّحوا ∴ وكانوا على الغازينَ دعوةَ أشأما
فرَرْتُم ولم تلووا على مُحجريكم ∴ لوِ الحارثُ الحرّابُ يُدْعى لأقدما
ففَرّ أبو الصهباءِ إذْ حَمِسَ الوغى ∴ وَألقى بأبدان السّلاحَ وسلَّما
وأيقنَ أنَّ الخيل إنْ تَلتبِسْ به ∴ تُئِمْ عِرْسَهُ أو تملأ البيت فأتما

وقال أيضاً: [٢]

قبحَ الإلهُ عَصابَةً مِنْ وائلٍ ∴ يومَ الأُفاقَةِ أسلموا بِسطَاما[٣]
كنتمْ أُسوداً في الرَّخاء فَوُجدْتُمُ ∴ يومَ الأُفاقةِ بالغبيطَ نَعاما

فالشاعر يعيب على بني وائل يوم الأفاقة بتخليهم عن بسطام فضلاً عن حبسهم في المعركة يوم الصرائم[٤]: وهو يوم أغارت فيه بنو عبس على ربيعة بن مالك بن حنظلة، فأتى الصريخ بني يربوع، فلحقوا في طلب بني عبس، فأدركوهم بذات الجرف، فقتلوا شُريحاً وجابراً ابني وهب من بني عَوْذ بن غالب، وأسروا آخرين، فقال جرير في نقيضة له يرد على الفرزدق[٥]:

قومي الذين يزيد سمعي ذكرُهمْ ∴ سَمْعاً وكان بَضْوئِهمْ إبصاري
والموردون على الأسِنَّةِ قُرَّحاً ∴ حُمْراً مَسَاحِلُهُنَّ غيرَ مِهار
هل تشكرونَ لِمَنْ تدارك سبْيكَمْ ∴ والمُرْدِفاتُ يَمِلْنَ بالأكوارِ
إنّي لَتُعرَفُ في الثغور فوارسي ∴ وَيُفَرِّجون قَتامَ كُلِّ غُبار

(١) مصدر سابق، ص١٣٠/١٤.
(٢) نقائض جرير والفرزدق، دار الكتب العلمية، بيروت، ٥٨٢/٢، وانظر أيضاً محمد أحمد جاد المولى وآخرون، "أيام العرب في الجاهلية"، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر، ص: ١٩٤-١٩٦.
(٣) الأفاقة: موضع من أرض الحزن قرب الكوفة، ياقوت الحموي، "معجم البلدان"، ٢٢٦/٢.
(٤) الصرائم: موضع كانت فيه وقعة بين تميم وعيسى، ياقوت الحموي، "معجم البلدان"، ص:٤٠٠/١٢".
(٥) النقائض، ص٣٣٦/١.

نحـــن البُنـــاةُ دعائمـــاً وســـوارياً ∴ يَعْلُـــونَ كُـــلَّ دعـــائم وســـوار
تـــدعو ربيعـــةُ والقمـــيصُ مُفاضَـــةً ∴ تحـــت النِّجـــارِ تُشَـــدُّ بـــالأزرار

في هذه الأبيات يفتخر جرير بقومه، حيث يجعلهم مشـعلاً ينيـر غياهـب الظلام، كما ينعتهم بالشجاعة والبطولة والإقدام في ساحة الوغى، فإذا كان قومه يتقدّمون الصفوف؛ فإنه واحد منهم فيفتخر بذاته حيث فوارسه في الثغور متميّزة، فيشق غبار المعركة بالإقدام والتضحية.

ويعود جرير للإشادة بقومه بني يربوع الذين يبنـون المعـالي ويشـيدون الأمجاد، ثم يربط بين أمجاد قومه الحاضرة بماضيها ويخصّ يوم الصرائم.

وبيوم الصرائم قال شُمَيْتُ بن زِنباع من بيني يربوع:

ســـائِلْ بناعَبْســـاً إذا مـــا لقيتهـــا ∴ علـــى أيِّ حـــيٍّ بالصَّـــرائم دُلِّـــتَ
قتلْنـــا بهـــا صـــبراً شُـــريحاً وجـــابراً ∴ وقـــد نَهِلَـــتْ فيهـــا الرِّمـــاحُ وعَلَّـــتِ

ويتضح من البيتين أن الشاعر يفتخر بقومه على بنـي عيسـى وقـتلهم شريحاً وجابراً ابني وهب وهما من بني عوذة بن غالب العائد للفرزدق.

يوم جَبَلَة[١]: قال جرير مفتخراً على الفرزدق بيوم جَبَلِة[٢]:

كأنـــك لم تَشَـــهدْ لقيطـــاً وحاجِبـــاً ∴ وَعَمْـــروَ بـــنَ عمـــروٍ إذْ دَعَـــوا يـــالَ دارم[٣]

يظهر أن جريراً يشيد بيوم جبلة، حيث كان لقيطُ بن زرارة سَيِّد بني تميم قد عزم على غزو بني عامر ليأخذ بثأر أخيه معبد، وعندما تناهى خبر تحالف بني عامرٍ مع عبس، توجّه لقيط إلى النعمان بن المنذر وإلى الجون الكلبي ملك هجـر يستنجدها، مزيِّناً لهما ثمار الحرب حيث سيلحقون بهم هزينة نكراء، فيأخذون ما يغنمون منهم، أما ذبيان، فقد اجتمعت كلمتها مع بني أسد على عـبس وعـامرٍ،

---

(١) جَبَلَة: موضع كانت فيه الوقعة المشهورة بين بني عامر وتميم وعبس وذبيان وفزارة، وهي هَضْبَةٍ حمراء بنجد بين الشُّريف والسّرف.
والشّريف: ماء لني نمير، والشرف: ماء لنبي كلاب، وجَبَلَة: جبل طويل،ياقوت الحموي، "معجم البلدان"، ص: ١٠٤/٥.

(٢) جرير، "الديوان"، ص:٤٦٢، وانظر: نقائض جرير الفرزدق: ٤٠٩/١.

(٣) لقيط: يعني به الشاعر لقيط بن زرارة الذي قُتل يوم جبلة، وحاجب بن زرارة أسر في ذلـك اليوم"، "ديوان جرير" ص:٤٦٢.

وعندما حَلَّ موعد الغزو؛ انهالت الجيوش ومعها قادتها من هذه القبائل يرأسهم حاجب بن زرارة، ولقيط بن زرارة، وعمر بن عمرو، والحارث بن شهاب، والتحمت الجيوش، وهُزِقتْ بنو عامر وحلفاؤها شرَّ هزيمة، وخرجت بنو عامر وحلفاؤهم في آثارهم يقتلون ويأسرون، وفي ذلك اليوم قالت (دختنوس) ترثي أباها لقيط بن زرارة وقد ضربه بنو عبس بعد موته[١]:

ألاْلَهـا الـوْيلاتُ ويْلَـةُ مَـنُ بكـى ∴ يضـربْ بنـو عـبسٍ لقيطـاً قَـدُ قَضَـى[٢]
لقـد ضـربُوا وجهـاً عليـهِ مَهَابَـةُ ∴ ولا تَجْفِـلُ الصُّـمُّ الجنـادِلُ مَـنْ ثـوى[٣]
فلـو أنَّكـم كنْـتُم غـداة لقيـتمُ ∴ لَقِيطـاً ضـربْتُمْ بالأسِـنَّةِ والقَنَـا[٤]

وقالت دختنوس أيضاً[٥]:

بَكَـرَ النعـيُّ بخـير خـن ∴ دَفَ كهلـها وشَـبابها[٦]
وأضـرَّ لعـدوِّها ∴ وأفكّهـا لرقابهـا
وقريعهـا ونجيبهـا ∴ في المطبقـات ونابهـا
ورئيسـها عنـد الملـو ∴ ك وزيـنِ يـوم خطابِهـا
فَـرْعٌ عمـودٌ للعشـي ∴ رة رافعـاً لنصـابها
فيعولُهـا ويحوطُهـا ∴ وَيَـذبُّ عـن أحسـابها
فَـرَّت بنـو أسَـدٍ فِـرا ∴ رَ الطَّـير عـن أربابهـا
وهـوازنٌ أصـحابهم ∴ كالفـأرِ في أذنابهـا

إن الشاعرة ترى في أبيها الرجل الذي يحرّر رقاب قومه من الأسر والسيد الذي في الملمات يلجأ إليه القوم، بل هو رئيس قومه في مجالس الملوك

(١) محمد أحمد جاد المولى، "أيام العرب"، ص: ٣٤٩-٣٦٤.
(٢) لها الويلات: الهاء تعود على بني عبس.
(٣) تحفل: تضم، الصّمُّ الجنادل: الصخور العظيمة، (المعجم المدرسي)، حفل – ضم.
(٤) الشرط في هذا البيت محذوف تقديره: لو قاتلتم لقيطاً بالأسنَّةِ والرماح لرأيتم بأسه وفررتم من وجهه.
(٥) محمد أحمد جاد المولى "أيام العرب"، ص:٣٤٩-٣٦٤.
(٦) خندف: أم مدركه بن إلياس، واليها تنسب قبائل مضر، ومنها تميم قوم الشاعر.

وخطيبهم، إنه سيد بن سيد دافع عن قومه الأبطال يوم شعب جبلة ففرَّت بنو أسد من وجهه وقد صاروا كالفئران لجبنهم.

وقالت تهجو النعمان بن قَهوَس التميمي الذي كان يحمل لواء بني تميم حيث فرَّ هارباً[١]:

فَرَّ ابن قهوس الشُّجا ∴ عُ بكفِّه رُمْحٌ مِتَلُّ

فابن قهوس لم ينفعه رمحه الشديد عندما اشتدت المعركة. ففرّ منهزماً سالماً بروحه.

يوم المرُّوت[٢]:

قال جرير يفتخر على الفرزدق بيوم المرَّوت[٣]:

ونحن تداركْنا بُجيراً وقد حوى ∴ نِهابَ العُنابَيْن الخميس لِيَرْبُعا[٤]

فَعَايَنَ بالمرُّوتِ أمنعَ مَعْشرٍ ∴ صريخ رياحٍ واللواءَ المُزعْزعا

فوارسَ لا يَدْعون يالَ مُجاشعٍ ∴ إذا كان يوماً ذا كواكب أشنعا

يزعم جرير أن هذا اليوم كان يوماً شديداً على قوم الفرزدق أنساهم كل شيء من شدة هوله ويرى جرير أن لبني يربوع الرئاسة والسيادة من دون الناس في هذا اليوم، فقد هزم بنو يربوع بني عامر وألحقوا بهم هزيمة نكراء، وكان ذلك إثر اللقاء بين قعنب بن الحارث من بني يربوع وبجير بن عبدالله العامري بسوق عكاظ والناس متوافقون، فقال بجير: يا قعنب، ما فعلت بك البيضاء فرسك؟ قال: هي عندي. قال: كيف شكرك لها؟ فأجابه: ولِمَ أشكرها؟ فقال: وكيف لا تشكرها وقد نجَّتك منِّي؟ حيث أقول:

ولَوْ أمكنتْني مِنْ بشامة مهرتي ∴ للاقي كما لاقتْ فوارسُ قَعْنَبِ

---

(١) مرجع سابق، ص: ٣٤٩-٣٦٤.

(٢)يوم المرُّوت: المرُّوت: وادٍ بالعالية كانت فيه وقعة بين تميم وقُشير، وهي ديار ملوك غسان، والمرُّوت: موضع آخر قرب النباج من ديار بني تميم، فيه كانت الوقعة التي قُتل فيها بُجير بن عبدالله بن عكبر بن سلمة بن قشير، قتله: قعنب بن الحارث، ياقوت الحموي "معجم البلدان"، ١١١/١٧.

(٣) نقائض جرير والفرزدق ٨٣٥/٢.

(٤) ليربع: ليأخذ الربع، وكان ذلك نصيب الملوك وأشراف الناس "ديوان جرير ص:٢٦٦.

تمطَّتْ بـه البيضاءُ بعـد اختلاسِـهِ ∴ علـى دَهَـشٍ وخِلْـتُني لمْ أُكَـذَّبِ

فأنكر قعنب ذلك وتلاعنا وتواعدا، وحدث أن أغار بُجير علي بني العنبر بعد ذلك فاستعانوا ببني يربوع ولحقوا ببُجير ومَنْ مَعَهُ عند المرُّوت، وهناك قُتِلَ بُجير ومن معه من قومه وأعادوا الأموال والسبي إلى بني عنبر، فقال جرير[١]:

رَدَدْنَـا بخَـبراءِ العُنـاب نِسـاءَكُم ∴ وقَـدْ قُلْـنَ عِتْـقُ اليـوم أَوْ رِقُّنـا غـدا

فَأَصَـبَحْنَ يَزْجُـرْن الأيـامِنَ أسْـعُدا ∴ وَقَـدْ كُـنَّ لا يَزْجُـرْن بـالأَمس أسْـعُدا

فمـا عِبْـتُ مِـنْ نـارٍ أضـاءَ وَقُودُهـا ∴ فِراسـاً وبسـطام بـن قـيسٍ مُقَيَّـدا[٢]

وفراس هذا هو ابن عبدالله بن عامر بن قشير كان مع بسطام أسـيرين، والشاعر:

يفتخـر بأنـه فـك نسـاءهم مـن الأسـر ∴ ويصـيب بـ أسـر فـراس وبسـطام

يوم الوقيط[٣]:

وقال جرير مفتخراً بيوم الوقيط، ومُعَيِّراً بني دارم بأسر ضرار بني القعقاع بني معبد بن زرارة وبغيره من الأسرى[٤]:

أَغَمـامَ لـو شـهِدَ الـوقيطَ فوارسـي ∴ مـا قِيـدَ يُعْتَـلُ عَنْجَـلٌ وضـرارُ[٥]

ويـومَ الشـيِّطين حُبارَيـات ∴ وأَشْـرَدُ بـالوقيطِ مِـنَ النَّعـام[٦]

وكان من حديث يوم الوقيط أن تجمّعت اللهازم لتغير علـى تمـيم وهـم فارّون، فرأى ذلك ناشب بن الأعور بن بشامة بن العنبر – وهو أسير فـي بنـي سعد بن مالك – فقال لهم: أعطوني رسولاً أرسله إلى بنـي العنبـر وأوصـيهم بصاحبكم خيراً ليولوه مثل الذي يولوني من البرية والإحسان، وكان حنظلة بـن

---

(١) جرير، "الديوان"، ص: ١٤٥، وانظر محمد أحمد جاد المولى، "أيام العرب"، ص: ٣٧٥.
(٢) النقائض، ص: ٤٨٢/١.
(٣) الوقيط: ماء لبني مجاشع بأعلى بلاد بني تميم، في هذا اليوم قُتِلَ فيه الحكم بن حيثمـة بـن الحارث، قتله أراز أحد بني تيم الله بن ثعلبه، ياقوت الحموي، "معجم البلدان" ٣٨٢/٢٠.
(٤) جريرن "اليدوان" ص:١٦٠، وانظر: نقائض جرير والفرزدق ٨٩٥/٢
(٥) أغمام: اسم امرأة مرخَّم غمامة. عنجل: هو ابن المأموم من بنـي زرارة "ديـوان جريـر" ص:١٦٠
(٦) يوم الشيّطين: هويم لبكر بن وائل وبني تميم، "ديوان جرير": ص٤٠٥

الطفيل أسيراً في بني العنبر فقالوا له: على أن توصيه ونحن حضور، قال: نعم، فأتوه بغلام لهم، استطاع ناشب أن يستعمل معه من الرموز ما يفهم به قومه، ويعمّي الأمر على من سواهم، ومن ثم تحرّزت فركبت الوهناء، وفوَّتوا على اللهازم ملاقاتهم على الوقيط، فاقتتلوا هناك، وأسر ضرار بن القعقاع بن زرارة، وأسر عثجل بن الماموم، وأُسرت غمامة بنت طوق بن زرارة(١).

"يوم ثيتل(٢):

قال جرير في نقيضته يرد بها على الفرزدق ويشيد بخاله ابن الأشد: سنان بن سميّ الأهتم من بني تميم، حيث أبلى بلاء حسناً يوم ثيتل لبني تميم على بكر(٣):

وخالي ابن الأشدَّ سما بسَعْدٍ ∴ فجازوا يوم ثيتَلَ وهو سام

ونلحظ أن جريراً يشيد بالنصر الذي حقّقته تميم على بكر، حيث اختصَّ قيس بن عاصم المنقري بأهل النَّباج، ويغير سلامةُ بن ظَرِب على أهل ثيتل، والتقت الجموع فأبلت بلاء حسناً، وأصابوا غنائم كثيرة، وفي ذلك يقول ربيعة بن طريف بن تميم حيث رثى قيساً:

فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ قيسَ بن عاصم ∴ فأنتَ لنا عِزٌّ عزيزٌ وَمعْقِلُ

وأنت الذي حَرَبْتَ بكرَ بنَ وائلٍ ∴ وقدْ عضَّلَتْ منها النِّباجُ وثيتلُ(٤)

وظلَّتْ عُقابُ الموت تهفو عليهم ∴ وشُعْثُ النَّواصي لجْمُهُنَّ تُصَلْصِلُ

هنا يشيد ربيعة بن طريف بقيس بن عاصم بأنه كان عزَّ قومه ومعقلهم، وأنه القوي الشجاع الذي سلب بكراً ما لها وقتل منها الكثير.

وفي هذا قال قُرَّة بن قيس بن عاصم(٥):

---

(١) محمد أحمد جاد المولى: "أيام العرب"، ص: ٢١٧.

(٢) ثيتل: ماء قرب النباج كانت به وقعة مشهورة، وهي بلد لبني حِمّان كما قال نصر. (ياقوت الحموي، "معجم البلدان" ٨٩/٥).

(٣) جرير "الديوان" ص: ٤٠٦.

(٤) حربت : سلبت ماله. عضلت الأرض بأهلها: إذا ضاقت بهم لكثرتهم،" اللسان"، حرب، عضل، والنباج: موضع الى ثلاث مراحل ما البصرة "معجم البلدان" :٢٩٦/٥.

(٥) نقائض جرير "١٠٢٣/٢ – ١٠٢٤" وانظر: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، "أيام العرب" ص: ١٧٦-١٧٧.

أنـــا الـــذي شـــقَّ المـــزادَ وقـــد رأى ∴ بِثَيْتـــلَ أحيـــاءَ اللَّهـــازمِ خصّـــرا[١]

فصـبَّحهم بـالجيش قـيسُ بـنُ عاصـمٍ ∴ فلَـــم يجـــدوا إلا الأســـنّة مَصـــدرا

يوم الجونين أو (الرّغام) [٢]

يفتخر جرير بيوم الجونين أو الرَّغام، حيث أغـار عتيبـة بـن الحـارث اليربوعي على بني كلاب، فأطرد إبلهم، وقُتِلَ أخوه حنظلة، وقَتَل عتيبة قاتل أخيه في اليوم نفسه وهو حوثرة، وانهزم الكلابيون بعد أن ألحق بنـو يربـوع بهـم خسارة فادحة تمثّلت بعدد القتلى والأسرى، وبهذا يقـول جريـر مفتخـراً علـى الفرزدق[٣]:

ولم تشـهد الجـونين والشّـعْب ذا الصَّـفا ∴ وشّـدات قَـيس يـوم دَيْـرِ الجمـاجم[٤]

يوم صوىر[٥]:

هذا اليوم كان مذبحة حيوانية بين غالب بن صعصـعة المجاشـعي والـد الفرزدق وبين سحيم بن وثيل الرّياحي من يربوع أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد أسرف والد الفرزدق في عقر النوق حتى فاق سحيماً في ذلك، ومع ذلك فقد حرَّم عليٌّ بن أبي طالب – كرم الله وجهه- أكل لحم تلك النوق لأنهـا أُهِلَّـت لغير الله.

والفرزدق يفتخر بهذا اليوم مشيداً بفعل أبيه، فيرد عليه جرير ساخراً منـه ومن فعل أبيه، ومضحكاً الناس بادّعاء الفرزدق له، كمـا يسـخر بنبـوّ سـيف الفرزدق فقال[١]:

---

(١) المزاد: ج مزا، وهي الرواية، اللسان (زيد) ص: ١٩٩/٣.

(٢) الجونين (الرّغام): هو يوم لبني يربوع من (تميم) على كلاب، والرّغام اسم رملة من نواحي اليمامة. (ياقوت الحموي، "معجم البلدان، دار الكتـب العلميـة، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٩٠م، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، ٥٧٢/٢.

(٣) جرير "الديوان"، ص: ٤٦٢.

(٤) دير الجماجم: يقع بظاهر الكوفة على البرِّ السالك إلى البصرة، وسُمِّي بدير الجماجم لأنه كان يعمل فيه الأقداح من الخشب ياقوت الحموي، "معجم البلدان": ٥٧٢/٢
الصفا: هو قصبة هجر، ويوم الصفا من أيامهم، قال جرير
تركتم بوادي بوادي رَحْرحان نساءكم ويوم الصفا لاقيتمُ الشّعب أوعرا
ياقوت الحموي، "معجم البلدان"، ٤٦٧/٣).

(٥) صوء ماء لكلب فوق الكوفة مما يلي الشام، ياقوت الحموي، "معجم البلدان"، ٤٣٢/٢

أكلَّفْـتَ قيسـاً أنْ نبـا سـيفُ غالـبٍ ∴ وشـاعَتْ لـه أُحْدوثـةٌ في المواسـمِ
بسـيف أبـي رغـوانَ سـيفِ مُجاشِـعٍ ∴ ضـرْبتَ ولم تضـربْ بسـيفِ ابـن ظـالِمِ
ضـربت بـه عنـد الإمـامِ فأرْعِشَـتْ ∴ يـداكَ وقـالوا مُحْـدَثٌ غـيرُ صـارِمِ
ضـربت بـه عرقـوبَ نـابٍ بصـوءَرٍ ∴ ولا تضـربون البـيضَ تحـت الغمـاغِمِ
عنيـفٌ بهـزّ السّـيف قـينُ مُجاشـع ∴ رفيـقٌ بـأخرات الفـؤوس الكـرازِمِ[٢]
سَـتُخبرُ بـابن القيـد أنّ رماحنـا ∴ أباحـت لنـا مـا بـين فَلْـجٍ وعاسِـمِ[٣]
ألا رُبّ قـومٍ قَـدْ وفَـدْنا علـيهمُ ∴ بصُـمَّ القنـا والمقربـات الصَّـلادم

ويتحرَّك جرير في هذه الأبيات بين الإشادة بقومه، وبين هجائه الفرزدق، حيث يذكر حادثة نبوّ السيف في يد أي يد الفرزدق، فَيُرْوى أنّ سليمان بن عبد الملك حجّ وومعه الشعراء، فلما كان بالمدينة راجعاً تلقّوه بنحو أربعمائة أسير من الروم، فقعد سليمان ليشاهد قتل أنصاره للمأسورين، وعندما جاء دور الفرزدق حمل سيفاً فأبان رأس أحد الأسرى، ولكن الفرزدق دُسَّ له سيفٌ عتيقٌ لا يقطع، فضرب به الأسير ضربات فلم يصنع شيئاً، فضحك سليمان والقوم.

أما جرير الذي يُمثّل بني يربوع، فإن رماحهم ممتدة إلى البلاد، وتطال جميع القبائل، وهي رماح ماضية تبيح لهم كل صعب بعيد، وأن قومه قادرون على سبي بنات القبائل بِسُحْر القنا، وفي هذا إشارة واضحة إلى أنهم ينتصرون في أيامهم ويهزمون أعداءهم.

حوادث مختلفة

افتخر جرير أمام الفرزدق بحوادث مختلفة، كان من بينها قتلُ وكيع بن حسّان اليربوعي لقتيبة بن مسلم الباهلي الذي تمرّد على الخلافة، وحرّض القبائل

---

(١) جرير، "الديوان"، ص: ٤٦٢، وانظر: نقائض جرير والفرزدق: ١/٤١٠-٤١٢ ، وانظر: محمد أحمد جاد المولى، "أيام العرب في الجاهلية": ٣٧٠-٣٧٢، وانظر: الدكتور: عفيف عبد الرحمن، "الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي"، دار الاندلس، ط١، ١٩٨٤، ص:١٣١.

(٢) أخرات الفؤوس: يريد خُرْتَ الفأس وهو الذي يقع فيه عموده وهو ثقب الفأس، أي أنها حداد، (اللسان (خرت: ٢/٩٢.
كرازم: الفؤوس التي لها رأس عظيم، اللسان (كرزم) ١٢/٥١٧.

(٣) فلج: بلد، ومنه قليل: طريق من البصرة إلى اليمامة" (ياقوت الحموي، معجم البلدان ٤/٣٠٨)
عاسم: اسم ماء لكلب بأرض الشام بقربق الخرّ/ مصدر سابق، ٤/٧٥.

على الاقتداء به وإعلان العصيان، وعندما رفضت القبائل تحريضه سبّها، فأغاضها وألّبها ضدّه، الأمر الذي دفعها إلى التجمُّع تحت إمرة وكيع وإخماد ثورة قتيبة بن مسلم على الخليفة، حيث قُتل قتيبةُ وأنصارُه، وقد أشار جرير بهذه الحادثة وصوّر ذلك بقوله(١):

فغيُرك أدّى للخليفة عهدَهُ ∴ وغيرُك جلّى عن وجوه الأهاتمِ
فإن وكيعاً حين خارت مُجاشِعٌ ∴ كفى شعبَ صَدْعِ الفتنةِ المتفاقمِ
لقد كنتَ فيها يا فرزدقُ تابعاً ∴ وريشُ الذُّنابى تابعٌ للقوادمِ
ندافع عنكم كلَّ يومٍ عظيمةٍ ∴ وأنت قُراحيٌّ بسيفِ الكواظمِ(٢)

هنا يشير جرير في البيت الأخير إلى بيت الفرزدق الذي يقول فيه:

فياليت داري بالمدينة أصبحت ∴ بأعفاء فلجٍ أو بسيف الكواظم(٣)

فجرير يرى الفرزدق تابعاً كالذيل عندما وضعه بريش الذنابى وهو الريش الضعيف في الطير.

وقال جرير يهجو البعيث ويردُّ على نقيضته(٤):

لَعَمْري لقد جارى دعيٌّ مجاشِعٍ ∴ عذوماً على طول المُجاراة مِرْجماً(٥)
ولاقَيْتَ منَّا مثلَ غايةِ داحسٍ ∴ وموقفه فاستأخرَنْ أو تقدَّما
سَأَذْكُرُ منكم كُلَّ منتخب القوى ∴ من الخور لا يرعى حِفاظاً ولا حِمى
فأَين بنو القعقاع عن ذَوْدِ فرْتنى ∴ وعن أصل ذاكَ القِنِّ أنْ يتقسَّما(٦)

---

(١) جرير، "الديوان" ص:٤٦٠.
(٢) الكواظم: أراد كاظمة وما حولها، وهي جو على سيف البحر من البصرة، (ابن منظور، "لسان العرب" ٥٢١/٢).
قراحي: صاحب القرية الملازم لها لايشهد حرباً، وقُراح: موضع على شاطئ البحر (ياقوت الحموي، "معجم البلدان"، ٣٥٧/٤)، وانظر جرير، "الديوان" ص:٤٦١، وانظر: اللسان (قرح: ٥٥٧/٢).
(٣) ابن منظور، "لسان العرب"، ٥٢١/١٢.
(٤) جرير، "الديوان"، ص: ٤٤٦، وانظر: نقائض جرير والفرزدق: ٦٣/١-٨٣.
(٥) عذوم: عضوض، "اللسان"، (عذم): ٣٩٤/١٢، ودعيٌّ مجاشع: هو البعيث، والمرجم: الذي يضرب الأرض ضرباً شديداً "نقائض جرير": ٦٣/١-٨٣) اللسان، (رجم ٢٢٦/٢).
(٦) فرتنى: الأمة، يقال: هو قصر. (ياقوت الحموي، "معجم البلدان"، ٢٨٠/٤.

فتؤخـذ مـن عنـد البعيـث ضـريبةٌ ∴ ويُتْـرَكُ نسَّـاجاً بـدارِينَ مَسْـلَما[1]

ثم يقول:

تـرى الخُـورُ جِلْـداً مـن بنـاتِ مُجاشعٍ ∴ لـدى القَـيْنِ لا يمـنَعْنَ منْـهُ المُخـدَّما

لقـد وجَـدَتْ بـالقَين خُـورُ مجاشـع ∴ كَوَجْـدِ النَّصـارى بالمسـيحِ ابـن مَرْيمـا

وفي هذه الأبيات يجعل جرير حديث داحسٍ والغبراء محوراً أساسيّاً ينقضُ من خلاله على خصمه، فقد أوقعت داحس والغبراء خسائر فادحة في الطرفين المتصارعين، والبعيث قد خسر الكثير في هذا الهجاء.

وحتى ينتصر جرير على البعيث أخذ يطعن في نسبه وأصله، فأمَّهُ أمَةُ للقعقاع بن زرارة، والبعيث ولد لهذه الأمَةِ، ثم يؤكد جرير أن البعيث عبد ينبغي أن يلتحق بسادته، فَلِمْ لا يتقاسموه ليعملَ لهم في الحياكة؟! ثم يوجه سهامه إلى نساء مجاشع، فهنَّ فاسدات شبيهات بالإبل الرقيقة الجلود، الطويلة الأوبار، الليّنات الأبشار، وهذه صفات غير محمودة في النساء.

من هنا أزعم أنّ الصلة بين حديث داحس والغبراء وما ذكر عن البعيث ونسائه هو أن هناك قاسماً مشتركاً بين الموقفين، فقبيلتا عبسٍ وذبيان لاقتا شؤماً وحزناً وعدم استقرار، فكانت الحرب سبيلاً إلى التهدّم والزوال، وهي نقيض العمران والحياة والأمان، وكأنَّ جريراً وهو يطعن بأصل البعيث وهجاء نسائه؛ يجعل هذه المادة بما فيها من نكدٍ وشؤمٍ شبيهة بما آلت إليه عبس وذبيان في حرب داحسٍ والغبراء.

يوم طخفة[2]:

قال جرير في نقيضة يردُّ بها على البعيث[1]:

– القعقاع: يقصد: القعقاع بن معبد بن زرارة، كانت أم البعيث أمَةً له، واسمها: أمَة عند العرب تدعى: فرْتنى. والقَيْن: ابن العبد، والأمَةُ والعتن واحد وجمع

– وقوله: أن يتقسَّما: المعنى أين هم عنه ألا يتقسّموه فإنه هو عبد لهم.

(١) ضريبة: هي الوظيفة التي يجعلها الرجل على عبده يشغله. يقول هلاّ تسلمونه في الحياكة؟

(٣) الخور: الفاسدة، والمخدم: موضع الخلخال (مصدر سابق، ٢٨٠/٤) وانظر "اللسان" (ضرب: ٥٤٣/١، (خور)، ص: ٢٦١/٤، (خدم) ص: ١٦٦/١٢.

(٢) طخفة: موضع بعد النّباج وبعد إمّرة في طريق البصرة إلى مكة، أو هي جبل ،ياقوت الحموي، "معجم البلدان"، ٢٦/٤.

ويــوم أبــي قــابوسَ لم نُعْطِــهِ المُنــى ∴ ولكــنْ صَــدَعْنا البــيضَ حتَّــى تهزَّمــا[٢]

وهذا إشارة إلى يوم(طخفة)من أيام العرب مع المناذرة،وهو يوم لبني يربوع على عساكر النعمان بن المنذر،وسببه:محاولة نزع الردافة[٣]من بنييربوع وجعلها في بني مجاشع وذلك بإيعاز من حاجب بن زرارة، وقد هزمت يربوع جيوش النعمان، وأسرت أخاه حسَّان بن المنذر وابنه (قابوس)، أي قابوس بن المنذر.

وبهذا يقول شُريح بن الحارث اليربوعي[٤]:

وكُنْــتُ إذا مــا بــابُ مَلْــكٍ قرعَتُــهُ ∴ قَرَعْــتُ بآبــاءٍ أَولــي شَــرَفٍ ضَــخْمِ
بأبنــاء يربــوع وكــانَ أبــوهُمُ ∴ إلى الشّــرف الأعلــى بآبائــه ينمــي[٥]
هُــمْ ملكــوا أمــلاكَ آل~ مُحَــرِّقٍ ∴ وزادوا أبــا قــابوسٍ رَغْمــاً علــى رَغْــمِ
عَــلا جَــدُّهُمْ جَــدَّ فــأطلَقُوا ∴ بطَخْفَــةَ أبنــاءَ الملــوكِ علــى الحُكْــمِ

هنا يفخر ببني يربوع ويراهم أرفع من أبناء الملوك بــل الملــوك وأعلــى مكانة.

يوم الكلاب الثاني[٦]:

في هذا اليوم يفتخر جرير على الراعي وقومه، حيث كان لتميم على مذحج، ويذكر تعريضه قيساً للهجاء، كما يذكر مآثر تميم فقال[١]:

---

(١) جرير، "الديوان"، ص: ٤٤٧، وانظر: "نقائض جرير والفرزدق": ٦٦/١.
(٢) قابوس: هو ابن المنذر "النقائض": ٦٦/١)، تهزَّم: تكسَّر وتشقق،"اللسان:هزم: ٦٠٧/١٢.
(٣) الردافة: من الردّف وهي الكَفَل، وأرداف الملوك في الجاهلية هم الذين كانواالملوك يخلفونهم في القيام بأمر المملكة، أي بمنزلة الوزراء في الإسلام
والردافة: أن يجلس الملك ويجلس الرديف عن يمينه "اللسان"، ١١٧/٩)
وفي هذا قال جرير وهو من بني يربوع(٥):
ربَعْنا وأردفنا الملوك فظلّوا وطاب الأحاليب الثمامَ المنزّعا
جرير "الديوان": ٢٦٦".
(٤) نقائض جرير والفرذدق: ٦٧/١-٦٨.
(٥) ينمي: يعدو، يضرب، يرمي. "اللسان" (نمي): ٣٤١/١٥.
(٦) يوم الكلاب: وادٍ يُسْلَكُ بين ظهري ثهلان، وثهلان جَبَلٌ في ديار بنــي نُميــر وهــو اســم لموضعين: أهدهما: اسم ماء بين الكوفة والبصرة، وقيل: ماء جَبَلة وشمام على سبع ليالٍ من اليمامة، وفي هذا اليوم كان بين بني سعد والرباب، والرياسة من بني سعد لمقــاعس، ومــن الرباب لتميم، ياقوت الحموي، "معجم البلدان" ٤٧٣/١٦).

هُــمُ ملكــوا الملــوكَ بــذات كهــفٍ ∴ وهُــمُ مَنعُــوا مــن الــيَمن الكُلابــا
إذا غضــبت عليــك بنــو تمــيمٍ ∴ حَسِــبْتَ النَّــاس كلَّهُــمُ غِضــابا
ألَسْــنا أكثــرَ الــثّقلين رجــلاً ∴ بــبَطْن مِنــىً وأعظَمــه قبابــا
تَــنحّ فــإنّ بحــري خِنْــدَفٌ ∴ تــرى في مــوجِ جَرْيتــه جَبابــا
بمــوجٍ كالجبــالِ فــإنْ تَرُمْــهَ ∴ تُغــرَّقْ ثــم يــرم بــك الجنابــا

(١) جرير "الديوان"، ص: ٦٣، ٦٤، ٦٥، وانظر أيضاً: "نقائض جرير والفــرزدق": ٤٤٨/١ – ٤٥١.

فمـــا تلقـــى محلّـــي في تمـــيمٍ ∴ بـــذي زلـــلٍ ولا نســـبي ائتشـــابا[١]
علـــوتُ عليـــك ذُروة خَنـــدقيّ ∴ أرى مـــن دونهـــا رُتَبـــاً صـــعابا
لَـــهُ حـــوضُ الـــنبيِّ وســـاقياهُ ∴ ومَـــنْ ورِثَ النُّبـــوَّة والكتابـــا

إلى أن يقول:

تركْـــتُ مجاشـــعاً وبـــني نُمـــيرٍ ∴ كـــدارِ السّـــوسِ أسْـــرَعتِ الخرابـــا

وفي يوم الكلاب الثاني طمعت القبائل في تميم، حيث كان يحـدوهم الأمـل فـي القضاء عليهم، وقد أبدت مذحج رغبتها في قتال تميم، فأرسلت الرسل إلى قبائل الـيمن وأحلافها من قضاعة، فاجتمع لهم حوالي اثناء عشر ألفاً، وكان عبد يغوث بن صـلاءة رئيسهم على مذحج، والبراء بن قيس على كندة، وانضم إلى هذا الحلف كلٌّ من: سـعد والرَّباب، والتقى الطرفان فاقتتلوا، وأُسرَ عبدُ يغوث الحارثي وقتلوه بالنعمان بن حسّان، وهزمت مذحج ومن معها، وبهذا أشاد جرير بالانتصار على هذه القبائل.

يوم ذي نَجَبَ[٢]:

قال جرير مفتخراً بيوم ذي نجبٍ وهو ليربوع على عامر بن صعصعة من قـيس عيلان[٣]:

فأســأل بـــذي نجـــبٍ فـــوارسَ عـــامِرٍ ∴ واسْـــألْ عينيـــةَ يـــومَ جِـــزْعِ ظِـــلال

ويشيد بيوم نجب في بائيته المشهورة فيقول[٤]:

حَمينـــا يـــومَ ذي نَجـــبٍ حِمانـــا ∴ وأحرزْنـــا الصـــنائع والنّهابـــا

نعم إن جريراً يفتخر بيوم ذي نجب لأنه كان ليربوع قومه، حيث أحـرزوا كل فعل خير ومال منهوب من أعدائهم.

---

(١) ائتشاب: اختلاط، محمد خير أبو حرب، "المعجم المدرسي"، وزارة التربية السـورية، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥: (أشب)، وانظر اللسان (أشب) ٢١٤/١.

(٢) نَجَب: موضع كانت فيه وقعة لبني تميم عغلي بني عامر بن صعصعة، وهو موضع في ديار بني كلاب (ياقوت الحموي، "معجم البلدان" ١، ٣٠٣/٥) وانظر: محمد أحمد جـاد المـولى، "أيام العرب" ص:٣٦٥.

(٣) جرير، "الديوان"، ص: ٣٧٥، وانظر: "نقائض جرير والفرزدق": ٣٠١/١.

(٤) جرير، "الديوان"، ص:٥٩، وانظر: "نقائض جرير والفرزدق": ٤٣٨/١.

ويقول في نقيضة أخرى[١]:

بـــذي نجـــبٍ ذُدنـــا وواكـــلَ مالِـــكٌ ∴ أَخـــاً لم يكُـــنْ عنـــد الطِّعـــان يُواكِلُـــهْ

لا شك أنه عند الملمَّات تتحد القلوب وتتقارب النفوس لتكون قلباً واحـداً في وجه الأعداء وهذا حال قوم جرير.

ويقول في نقيضة أخرى يهجو الفرزق[٢]:

أَقـــينَ بـــنَ قـــينٍ لا يَسُـــرُّ نســـاءَنا ∴ بـــذي نَجَـــبٍ أنّـــا ادّعينـــا لِـــدارِمِ

هجاء مقذع لقوم الفرزدق ومستفزّ في الوقت عينه.

ويفتخر جرير بانتصار قومه على بني عامر من قيس في يوم ذي نجـب، حيث أقبل حسّان بن كبشة الكندي ومَنْ معه من الجيش في الصباح، والتقوا ببني يربوع فاقتتلوا، فضرب حُشيشُ بنُ نمران الرياحي حسَّانَ بنَ كبشة الملك علـى رأسه فقتله وانهزم أصحابه، وأَسَرَ ثعلبةُ بنُ الحارث اليربوعي يزيدَ بن الصَّعق، فأبصره في يده ثعلبة بن الحارث المذكور آنفاً، فضربه على رأسه فأمَّهُ، أي على أمِّ رأسه، وانهزم طفيل بن مالك على فرسه. فقال سَحَيم بنُ وثيل الريـاحي فـي ذلك[٣]:

ونحـــن ضَـــرَبْنا هامَـــةَ بـــنَ خُوَيلـــدٍ ∴ يزيـــدَ وضـــرَّجنا عُبَيْـــدةَ بالـــدَّم

بـــذي نَجَـــبٍ إذْ نحـــنُ دونَ حَريمنـــا ∴ علـــى كُـــلِّ جيَّـــاشِ الأجـــاري مِـــرْجَمِ

وقال جرير في ذلك مصوِّراً هزيمة أعدائه ومتغنيّاً بانتصارات قومه[٤]:

بـــــذي ذُدْنـــــا وَوَاكَـــــلَ مالِـــــك ∴ أخـــاً لم يكـــنْ عنـــد الطِّعـــان يُواكِلُـــهُ

يوم ذي بهدى[٥]:

يفخر جرير بيوم ذي بهدى على الأخطل، حيث أغار الهذيل الثعلبـي علـى بني ضبّة وهم (ذي بهدى)، وقد جمع جمعاً عظيماً مـن النمـر وتغلـب وإيـاد، فأرسلوا يستصرخون ببني سعد بن زيد بن تميم فالتقوا، فَقُتِلَ من بني ثعلب أناس

---

(١) نقائض جرير والفرزدق، ص: ٦٣٧/٢.
(٢) المصدر السابق، ص: ٧٦٦/٢.
(٣) ياقوت الحموي، "معجم البلدان"، ٣٠٣/٥.
(٤) جرير، "الديوان"، ص: ٣٠٣. وانظر: محمد أحمد جاد المولى، "أيام العرب"، ص:٣٦٦.
(٥) بهدى: موضع ذات نخل بالمامة. ياقوت الحموي، "معجم البلدان"، ٥١٤/٤.

كثيرون وانهزموا أسوأ هزيمة، وأسر يومئذ الهذيل، أسره يزيد بن حذيفة من بني مُرّة، وأُسِرَ بنوه الأربعة، وبهذا يقول جرير[١]:

فَصَبَحْنَ نسوةَ ثعلبَ فسَبَينَها ∴ ورأى الهُذيلُ لِوِرْدهِنّ رعالا[٢]
فأبْرزْن قومك يا أُخَيطَلُ بَعْدَما ∴ تركَتْ ربيعة في البلاد شلالا
إنّا كذلك لِمِثْلِ ذاكَ نُعِدُّها ∴ تُسْقى الحليب وتُشْعَرُ الأجلالا
ولو أن تغلبَ جمّعَتْ أحلامَها ∴ يوم التفاضُلِ لم تَزِن مثقالا
تلقاهُمُ حُللماء عَنْ أعدائهم ∴ وعلى الصَّديقَ تراهُمُ جُهَّالا

نلاحظ أن جريراً يحاول التقليل من شأن الأخطل فصغّره لتحقيره، فضلاً عن تشريد قومه وعدم اتصافهم بالحلم ورجاحة العقل، بل يخافون من أعدائهم ويجارونهم كما زعم جرير.

يوم الشّرعبيّة[٣]:

يفخر جرير بيوم الشَّرعبيّة الذي انتصرت فيه قيسُ على تغلب فقال[٤]:

وإنّ لنا غَورَ البلادِ عليكُمُ ∴ وساحَةَ نجد والطِّوال مِنَ الهضْب
سَتَعْلَمُ ما يُغني الصَّليب إذا غَدَتْ ∴ كتائبُ قيس كالمهنّأةِ الجُرّبِ
ألم تَرَ قيساً قيس عَيْلانَ دمَّرَتْ ∴ خنازيرَ بين الشّرعبيّة والدَّرْبِ
وقد أوْرَدَتْ قيسٌ عليك خيولَها ∴ فوارسُ هَدَّمْنَ الحِياضَ التي تجبي

وهكذا نجد جريراً يُعيّرُ الأخطل بيوم الشّرعبيَّة، اليوم الذي كانت فيه الطريق مُمَهّدة لخيول قيس المحملة بالسلاح، وكأنَّها مطلية بالقطران لتوقع بقوم الأخطل، وقد كان ومن آثار الهزيمة التي أوقعتها قيس بتغلب سقوط الكثيرين منهم صرعى في ساحة الوغى.

---

(١) جرير، "الديوان"، ص: ٣٦٣.

(٢) الهذيل: هو ابن هبيرة التغلبي، الرعال: الواحد: رعيل: اسم كل قطعة متقدمة من الخيل أو الرجال، "اللسان": رعل: ٢٨٦/١١.

(٣) الشَرعبية: موضع الجزيرة، وكانت به وقعة بني سُليم، ،ياقوت الحموي، "معجم البلدان": ٥١٤/٤.

(٤) جرير ، "الديوان"، ص: ٥٤-٥٥.

وفي موضع آخر يرى الأخطل أنّ قومه انتصروا في هذه الموقعة على قيس فقال(١):

ولقد بكى الجُحَّاف مما أوقعَتْ ∴ بالشّرعبيّة إذ رأى الأطفالا

إن كثرة القتلى أبكت الجُحّاف وخاصة لما رأى الأطفال وقد فقدوا آباءهم فالحرب سجال يوم لك ويوم عليك.

يوم الكحيل(٢):

يشيد جرير بهذا اليوم على الأخطل وقومه تغلب فيقول(٣):

وكُنّا إذا حومةٌ أعرضَتْ ∴ نخوضُ إلى الموتِ أغمارَها

فأفسدَتْ تغلبَ كُلّ الفسادِ ∴ وَشُمتَ العُيونَ وأكيارَهَا(٤)

وحامى الفوارسُ يوم الكُحَيل ∴ ولمْ تَحْمِ تغلبُ أدْبارَها

وضْعتُمْ بجزْءَ حَمْلَ السِّلاحِ ∴ وعودَ النِّساء وأبكارَها

وفي هذا اليوم يعتزُّ جرير بالنصر الذي أحرزه بنو قيس على تغلب، حيث فَرُّوا إلى دجلة وغرق منهم خلقٌ كثير، وقد أصاب بنو قيس من الغنائم الكثير، ولم يبقَ في الكُحيْل أحد، فأصبحتْ خاوية من أهلها، إذ تفرّقت تغلب بيت قتيل وفارٍّ، فَنُهبتْ ممتلكاتها ومُزّقَتْ شرَّ ممزَّق.

يوم البشر(٥): من الأيام الإسلامية

يُعيّر جرير الأخطل بيوم (البشر)، وهو من الأيام الإسلامية المشهورة لقيس على تغلب، حيث قاس جرير على هذا اليوم هزائم مجاشع فقال للفرزدق(٦):

---

(١) الأخطل، الديوان، مطابع أوفست علي بن علي، الدوحة، قطر ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.ص: ٥٠

(٢) يوم الكحيل، الكحيل: موضع بالجزيرة، وكان فيه يوم للعرب. (ياقوت الحموي) "معجم البلدان":٤٣٩/١٦.

(٣) جرير "الديوان"، ص: ٢٤٤، وانظر"نقائض جرير والأخطل"، ص: ٢٢٦.

(٤) أكيرها: جمع كير، وهو جلد غليظ ينفخ فيه الحداد، "اللسان"،كير: ١٥٧/٥.

(٥) البشر: اسم جبل يمتد من عُرض الفرات من أرض الشام من جهة البادية، ، "معجم البلدان"٤٢٦/٤.

(٦) جرير، "الديوان"، ص: ٤٦١، وانظر: "نقائض جرير" : ٤٠١/١-٤٠٢.

وقَبَلـكَ مـا أخـزى الأخَيطـلُ قومَـهُ ∴ وَأسْـلَمُهُم للمـأزِقِ المـتلاحِمِ[١]
ومـا زال في قـيسٍ فـوارِسُ مَصْـدَقٍ ∴ حُمـاةٌ وحَمَّـالون ثِقْـلَ المغـارِمِ
وقـيسٌ هُـمُ الفضـلُ الـذي نسـتعدُّه ∴ لِفَضْـلِ المسـاعي وابتنـاءِ المكـارِمِ

في هذا اليوم يشيد الشاعر بشجاعة قيس الذين قتلوا من بني تغلب ما يقرب من ثلاثة وعشرين ألفاً، وتذكر الروايات أن سبب هذا اليوم هو إعانة الأخطل للجُحّاف بن حكيم السلمي حينما كان عند عبد الملك حيث خاطبه:

ألا أبلـغ الجحَّـاف هـل هـو ثـائرٌ ∴ بقتلـى أُصـيبت مـن سـلَيمٍ وعـامِرِ

فثارت ثائرة الجُحَّاف، واستعدّ لمقارعة بني تغلب والانتقام منهم، فأغار قومه على بني تغلب فقتلوا منهم الكثير، وهرب الأخطل من ليلته مستغيثاً بعبد الملك فقال[٢]:

لقـد أوقـع الجحَّـاف بالبشـرِ وقعـةً ∴ إلى الله منهـا المُشـتكى والمُعـوَّلُ
فـإلاّ تغيّرهـا قُـريشٌ بمُلكهـا ∴ يكـنْ عـن قُـريشٍ مُسـتمازٌ وَمَرْحَـلُ[٣]

ويُعيّر جرير الأخطل بهزيمة قوم الأخطل (يوم البشر)، حيث يسمّي هذا اليوم بيوم (الرَّحُوبين)، ويُعيّره بيوم آخر هو يوم سنجار فيقول[٤]:

وظـلَّ لكـم يـومٌ بسـنجارَ فاضـحٌ ∴ ويـومٌ بأعطـانِ الرَّحـوبَيْن أفْضَـحَ

يبين جرير أن الجُحّاف قد أوقع ببني تغلب الفضائح بيوم الرّحوبين وهو يوم البشر وذلك لما حل بهم من القتل والجرح والذل.

ويصوِّر جرير فتك الجُحّاف يوم البشر وما خلّفه من مآس في بني تغلب بقوله[٥]:

فإنَّـكَ والجُحَّـاف يـوم تحضُّـهُ ∴ تُريـد بـذاكَ المُكْـثَ والـوِرْدُ أعجـلُ
سـرى نحـوكُمْ ليـلٌ كـأنّ نجومَـهُ ∴ مصـابيحُ فـيهنَّ الـذُّبال المُفتَّـلُ

---

(١) المأزق: موضع ملتقى الحرب، المعجم المدرسي، وزارة التربية السورية، (أزق).
(٢) الأخطل، "الديوان"، مطابع أوفست، علي بن علي، الدوحة، قطر، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢. ص:١٠ وانظر: "نقائض جرير والفرزدق"، ١/٤٠١-٤٠٢.
(٣) مستماز: انفصال، المعجم المدرسي (ميز).
(٤) جرير، "الديوان"، ص:٨٨.
(٥) جرير، "الديوان"، ص:٣٦٦، وانظر: "نقائض جرير والأخطل": ٦٨-٦٩.

لقــد قتَــلَ الجُحَّــافُ أزواجَ نســوةٍ ∴ يقــودُ ابــنُ خَــلاَّسٍ بهــنَّ وعَزْهــل
وقـد قَـذَفَتْ مـن حَـرْبِ قـيسٍ نسـاؤُكُمْ ∴ بأولادِهــا منهــا بَقــيرٌ ومُعْجَــلُ[1]
بدجلــةَ إنْ كَــرُّوا فقــيسٌ وراءهُــمْ ∴ صــفوفاً وَإنْ رامُــوا المَخَاضَــةَ أوحلــوا
وقـد شـقّقتْ يـوم الرَّحـوبِ سـيوفُنا ∴ عوائِــقَ لم يثبُــتْ علــيهنَّ محمــلُ

فلهول المعركة وقوة قوم الجُحّاف صارت النساء تسقط أجنَّتها من بطونها، وهذا يدل على الرُّعب الشديد الذي وقع في قلوب قوم الأخطل.

ويُذكر أنَّ (الشّمرذي) أحد بني الوحيد قال لبني تغلب: إن قبرتُمْ أصــحابكم عُيِّرْتُمْ بها ما دامت لكم حياةٌ فحرِّقوهم[2].

(١) بقير: الحامل الذي يُشقُّ بطنها عن ولدها، "المعجم المدرسي (بقر) مُعجل: جمع معاجل وهي: المرأة التي تضع ولدها قبل أوانه، "المعجم المدرسي (عجل).

(٢) "نقائض جرير والفرزدق"، ص: ٨٩٩/٢، وانظر: "نقائض جرير والأخطل": ص:١٨٧.

أيام العرب بين النقائض والشعر الجاهلي

مما سبق يتضح أن الأيام كانت مصدراً مهماً للتراث الجاهلي ، إذ عُدَّت مرجعيّة لدارس هذا التراث في مجال مهمٍّ من مجالات العصر الجاهلي وهو أيام العرب في الجاهلية .

ولكننا نلحظ أن هناك فرقاً بين هذه الأيام في النقائض من جهة وما نجده في شعر الشعراء الجاهليين من جهة أخرى ، فقد عبر الشعراء الجاهليون في قصائدهم عن وقائع قائمة ، ومعارك تراق فيها الدماء، فتحدثوا عن نوازعهم في الانتقام والتشفّي والثأر ، وفي التعالي والتحدي،وبمعنى آخر فإن الأيام في الشعر الجاهلي كانت تعبّر عن واقع حياتي معاش يوظّفه الشاعر لإثارة قومه للانتقام ويحفزهم للثأر ، فتثور الأضغان والأحقاد، أما النقائض فكانت مفاخرة ومهاجاة لا تبلغ أن تثير الأحقاد وتؤجّج الأضغان ، لأنها لم تكن تلبية لحروب ووقائع ، بل هي معاداة ومغالبة تروم أن تنتزع الإعجاب وتظفر بالتفوق وتسكت الخصم وتبكته ، وكانت تنزع إلى اللهو والتسلية ، وتملأ الفراغ الذي شعر به الناس في البصرة، حيث كانوا يخرجون إلى سوق المربد ليروا هذه اللعبة ومدى إتقانها ، فهذه النقائض لم تكن إلا مناظرات أدبية اكتسبها جرير والفرزدق من خلال حضورهما لمجالس العلماء ومحاوراتهم في البصرة، وكان هذا الأسلوب يستهوي الجمهور ويثير إعجابه فيصفّق للمتفوق[١] .

ومما سبق يتضح أن هناك عدة عوامل دفعت النقائض إلى منحى التسلية واللهو ، هما : الفراغ الذي كان يشعر به الناس في ظلّ حضارة جديدة اتخذت طابع الاستقرار بعد أن كانت تتسم بطابع البداوة من ترحال وتنقل،والعامل الثاني هو : تلك المحاورات العقلية والفلسفية التي شغلت البصرة على أيدي علمائها ، يضاف إلى ذلك رغبة البيت الأموي في تحييد القبائل العربية وإبعادها عن السياسة ، لتبقى مشغولة في قضايا اجتماعية بعيدة عن السياسة .

---

(١) انظر : شوقي ضيف، "التطور والتجديد في الشعر الأموي" . ١٨٤-١٨٥ دار المعارف ١٩٥٢ ، وانظر : "ديوان الفرزدق"، تحقيق: شاكر الفحام ، دار الفكر ،م، ص: ٢٩١

ويلحظ الباحث أن الشاعرين لم يعرضا الصورة الحقيقية لأيام العرب في الجاهلية ، فكانا يُحوِّران في الوقعة الواحدة ويبدِّلان ليتفق وهوى كلِّ واحدٍ منهما ، فهناك مبالغة وتزيُّد للرغبة في استمالة الجمهور إلى جانبه والتفوق على خصمه ، وقد أشار الفرزدق إلى ذلك في إحدى نقائضه :

ألا تَفتري إذ لَمْ تجِدْ لكَ مَفْخَرا ∴ ألا ربما يجري مع الحقِّ باطلُه

فتَحمَدُ ما فيهم ولو كُنتَ كاذباً ∴ فيَسمعُهُ يابنَ المُراغَةِ جاهلُه[١]

ويرى شاكر الفحام أن غاية النقائض هي المغالبة الفنية والانتصار في القول ، فقد وقف جرير إلى جانب قيس ويتغنى بأيامها لا يفرق بينها وقومه في المنازعة والمفاخرة[٢] . وهو يخاطب قومه بما صنع :

عطفتُ عليكم ودَّ قيسٍ فلَمْ يكُنْ ∴ لهُمْ بدَلا أقيانُ لَيلى وكيرُها[٣]

من هنا يمكن القول: إن أيام العرب في النقائض لم يكن مقصد الشعراء فيها الهجاء الخالص الذي يولّد العداوات والحروب، لأنهم يعيشون في مجتمع إسلامي يستمدّ مقومات حياته من القرآن الكريم، ويدركون أن التباغض والتحاسد والعداوة بين المسلمين حرام، مصداقا لقوله تعالى " إنما المؤمنون أخوة"[٤] وإنما هي مناظرات أدبية غايتها اللهو وتسلية الجمهور كما يقف المناظر في عصرنا الحديث ليدافع عن وجهة نظر معينة ، وليس من الضروري أن يكون مؤمناً بها، بل قد يكون من خصومها، ويأتي للإغراب على الناس وجمهور النظارة)[٥] .

وبعد هذا العرض لأيام العرب الجاهلية يتساءل الباحث: لماذا افتخر جرير على الفرزدق بأيام ليست لقومه ؟

ويبدو أن النقائض شغلت في بدايتها مساحة ضيقة وميداناً ذا إطار محدد ، حيث تهاجى جرير والفرزدق وتفاخرا بما لقبيلتيهما من مآثر، فتناول جرير قوم الفرزدق مجاشعاً ورماها بالهجاء وافتخر بقومه يربوع بما لها من أيام ، وكذلك

---

(١) "نقائض جرير والفرزدق"،ص: ٦٢٨/٢ .
(٢) انظر : "ديوان الفرزدق" تحقيق: شاكر الفحام ، ص:٢٩٢ .
(٣) "نقائض جرير والفرزدق"، ص: ٥٤٥ .
(٤) سورة الحجرات آية: ١٠
(٥) التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص: ١٨٦ .

فعل الفرزدق، فهما يتبادلان السباب والشتائم ويتنازعان الشرف والكرم ويتنافسان، ثم انتقلت النقائض من هذا الإطار الضيّق إلى آفاق أرحب ومجالات أشمل وأوسع ، فامتدت إلى قبائل أخرى وقفت إلى جانب أحد الشاعرين وانحازت إلى صفّه، فالفرزدق يقف في صفِّ الأخطل، لأنه فضَّله على جرير ، فهجا جرير الأخطل وبني تغلب، وأشاد بقبيلة قيس وعيَّر تغلب بهزائمها ، ثم انبرى الفرزدق بالانتصار لتغلب والتغني بأمجادها، وكذلك ما حدث للراعي النميري الذي فضَّل الفرزدق على جرير، فهجاه جرير بنقيضته الدامغة المشهورة ، وهجا بني نمير فتصدى له الفرزدق فرفع من شأن بني نمير.

وأمر آخر يمكن إضافته إلى ما سبق هو أن الشاعر المناقض كان يجنّد لنفسه كل ما يمتلكه من أدوات للطعن في خصمه، فكان يبحث عن مواطن الضعف ومواقع عثرات خصمه، فيتناولها موظفا إيَّاها لخدمة غرضه ومقصده ، فلم يتوان جرير أو الفرزدق في التنقيب عن الأيام التي هزم فيها خصمه على أيدي القبائل الأخرى ، وحينما يجدان ضالتهما فإنهما يوظفان هذا اليوم الذي هزم فيه الخصم للطعن في الطرف الآخر ، فيكون ذلك اليوم مصدراً للسخرية وتعيير الخصم دون تحرُّج ولا تأثّم ، فيُسبِغُ كلاهما حُلَلَ المجد على قبيلته .

قيمة الأيام في شعر النقائض وأهميتها

ويلحظ الدارس لشعر النقائض أنها تميل إلى التعمق والاستطراد حينما تعالج الأيام ، فهي تعرضها بصورة مفصَّلة ولا تدع جزئية أو شاردة إلا وتتوقف عندها وتسلط الأضواء عليها ، فحينما يفخر جرير بيوم من الأيام فإنه يشرحه إلى كل ما يتصل به ، فمن وصف للقبيلة وافتخار بشجاعتها وتضحياتها وإقدامها ، وعرض رجالاتها المشهورين ومناقبهم إلى ذكر اليو م والأحداث التي وقعت ، وتصـــوير هزائم الطرف المعادي والتنويه بمخازيه ومثالبه، وبهذا يكون جرير أو الفـــرزدق أشبه بمصور بارع يلتقط المشاهد والأحداث بكل تفاصيلها الدقيقة ويفوق المصور بإضفاء الروح الشاعرية على منظره ، فيجعل القارئ يحس أنه يقف أمام معركة حقيقية .

أيام العرب في النقائض الأموية، والشعر الجاهلي، وقيمتها

يتساءل الباحث عن القيمة الحقيقية للأيام في شعر النقائض ، فما هي القيمة التي نجنيها من وراء ذلك ؟

أزعم أن النقائض حينما تَعرِضُ أيام العرب الغابرة ، إنما تقدم خدمة جليلة لهذا التراث ، فهي بادرة مهمة من خلالها بُنيت الجسور بين الحاضر والماضي ، لتكون وثيقة تاريخية ومصدراً مهماً من مصادر معرفة العلاقات السياسية بين القبائل العربية ، وتعد الأيام في شعر النقائض محطة يتزوّد منها دارسو الأدب والتاريخ الذين يهمهم رصد حركته وتطوره ، والأساطير التي كانت تؤمن بها القبائل العربية آنذاك ، وبمعنى آخر فإن ورود الأيام في نقائض جرير والفرزدق يكشف عن مستوى العقلية العربية وتفكيرها ، وعلى العموم فإن أيام القبائل العربية وطرحها في النقائض في الأماكن العامة ، في سوق المربد أو المسجد الجامع في وقت كانت الصراعات القبلية على أشدّها مؤشر على تعميق الفجوة وتعزيزها ، وأعني بذلك الإسهام في تنمية الحس القبلي والتعصب للقبيلة ، مما ينجم عنه تجذير الطابع القبلي والالتزام بمعطياته ومبادئه ، وبالتالي زيادة في الصراعات والمشاحنات وارتداد إلى الحياة القبلية الجاهلية .

ولقد كان طرح الأيام في النقائض منسجماً مع السياسة العامة التي كانت تؤمن بها الدولة الأموية وتشجعها ، لأنها مستهدفة من الفرق الإسلامية التي تشعر بأحقيتها في الخلافة ، ولذا اتبعت سياسة التفرقة بين القبائل والأحزاب لتضمن لنفسها السيادة ، فأصبحت القبائل العربية منشغلة عن السياسة بالدفاع عن نفسها والانتصار لكرامتها ، فانبرت تدفع ((إعلامييها)) من الشعراء ليذودوا عنها في وجه الخصوم ، فكان جرير والفرزدق والأخطل .

وإذا كانت ساحة سوق المربد والمسجد الجامع في البصرة تعج بالجمهور الذي ينتظر ما ابتدعته قرائح الثلاثي من شعراء النقائض ، فإن السلطة الحاكمة في قصرها كانت على اتصال مستمر ومعرفة عما يجري ، وهذا ما يفسر وقوف الفرزدق والأخطل إلى جانب الدولة الأموية وكلاهما يسهمان في خدمة الدولة

بتحويل أنظار الناس عن الخوض في السياسة وقضية الخلافة وإشغالهم بهذه الخصومات القبلية .

وجرير الشاعر التميمي كنا نحس أنه يعارض الدولة ، ولكن قبيلته تنال ثقة الدولة واحترامها لأنها كذلك قبيلة الفرزدق ، ولا أستبعد أن جريراً بمناوأته والفرزدق بدفاعه عن البيت الأموي كانا خيراً للقبيلة بما اتّبعاه من سياسة (لعبة شدّ الحبل).

ونخلص إلى القول : إن قيمة الأيام في شعر النقائض كانت بعثاً للماضي وسجلّاً تاريخياً من جانب ، وإحياء العصبيات القبلية التي خدمت الدولة الأموية وعززت نفوذها وسلطانها وقربت إليها بعض القبائل من جانب آخر .

وتظهر صورة النقائض في العصر الأموي وقد تزيّنت بالمفاخر القبلية الجاهلية ، ويلحظ الدارس لها أنه يقرأ شعراً جاهلياً بكل أبعاده ومعانيه ، ويسيطر عليه إحساس عميق بأن هذا الشعر منبعث عن الروح الحضارية التي يحياها العصر الأموي ، وكأنه يعيش في زاوية منعزلة عن المحيط الذي يحيا في ظلاله ، فيقبع في ذاكرة الماضي الجاهلي ، إذ نرى المكان الجاهلي بارزاً في شعر النقائض بدلاً من بروز المكان الحاضر ، ويرتسم المكان الماضي في ذهن الشاعر بصورة جلية ، فيعيش معه الزمن فيغدو الاثنان : الزمن والمكان يحتلان مساحة واسعة في شاعرية الشاعر ، وينقلنا الشاعر كجرير أو الفرزدق أو الأخطل إلى حلبة صراع غابرة تجاوزها صدر الإسلام وسفَّه من يحاول إحياءها أو الافتخار بها ، ويطرح السؤال نفسه هنا في هذا السياق وبإلحاح : أليس شعراء النقائض يعيشون في ظل دولة إسلامية ؟ لماذا طغت الملامح الجاهلية ومنها (الأيام) على هذا الشعر؟

لقد نظم الشعراء نقائضهم في عصر كثرت فيه الصراعات والخلافات حول أولوية الخلافة ، فظهرت الأحزاب والفرق الإسلامية التي تدعو للإطاحة بالبيت الأموي الذي اغتصب الخلافة قسراً ، وإزاء هذه المعارضات التي تتحيّن الفرصة لتحقيق مآربها ، عملت الدولة الأموية وبكل قوّة على اتباع سياسة تضمن لها البقاء في الخلافة وتقمع الأحزاب المعارضة ، فلجأت بكل دهاء وفطنة إلى العمل على إحياء الأفكار القديمة الجاهلية التي تكون منطلقاً لتوجيه الناس عن مسارهم

الذي يغضب الدولة الأموية إلى مسار آخر من خلاله تتصارع القبائل فيما بينها ، فيؤدي ذلك إلى تكريس الجهود والعمل الدؤوب لإخماد مفاخر القبيلة المعادية من خلال إبراز محامد هذه القبيلة وإعلاء شأنها، فبحثت القبائل عن أمجادها فوجدت ضالتها في أيام العرب الجاهلية ، ومن هنا برزت فكرة العصبية القبلية التي تُعَدُّ مرتكزاً من المرتكزات التي قامت عليها الدولة الأموية .

وفي معترك هذه الأجواء راحت كل قبيلة تُقَدِّم شاعرها الذي يدافع عنها ويسكت خصمها ، وأزعم أنَّ كل قبيلة كانت تحاول التفوُّق على الأخرى وتظهر نفسها صاحبة السيادة والمجد ، ولكن يبقى السؤال مطروحا : لماذا تحاول القبيلة التفوق على خصمها ؟ .

يبدو أن المسألة بكل بساطة تخضع للظروف والأجواء المسيطرة آنذاك، فلا أستبعد أن الشاعر حينما يدافع عن قبيلته يسعى إلى إضفاء الهيبة والقوة عليها لتكتسب مكانة أو منزلة لدى السلطة القائمة، ويعني ذلك أن مكتسبات معيّنة ومستحقات محدّدة ستطالها هذه القبيلة، لأن حسّ القبيلة له صوت مسموع في الدولة، حيث ستحقق مكاسب سياسية أو مادية أو اجتماعية، فالجميع يتسابق لتعزيز موقع قبيلته ويتنافس ليكون صوته مسموعاً لدى رجال الدولة، سيما إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الدولة الأموية تحترم القبائل التي لها صولات وجولات، فتتقرّب منها لتكون عوناً لها في مواجهة أعدائها، فالقبيلة أصبحت الآن تتبوّأ مرتبة أكثر تميُّزاً مما كانت عليه في العصر الجاهلي، حيث كانت تدافع عن حماها، أما في العصر الأموي، فقد تغيّرت الصورة فأصبحت القبيلة تُمنْح وتُقدَّم لها مستحقاتها فهي الأكثر "عزوة"، لأنها أساس النظام وعليها يتوقف استمراره .

خاتمة البحث ونتائجه

ارتكزت النقائض في صورتها على أيام العرب الجاهلية والإسلامية، واتخذت من النسب مادتها من أجل الانتقاص من مكانة الخصم والطعن بمثالبه والتشكيك بأصله وإنزاله منزلة وضيعة، ومن هنا كان الافتخار بالأنساب، والطعن بمكانة الشاعر ومنزلته أساساً ينطلق منه شعراء النقائض فاتكأ الشعراء على هذه المادة واتخذوها منطلقا لهجائهم على خصومهم والفخر بذاتهم وقبيلتهم ولعلّ الحالة السياسية التي سادت في العهد الأموي هيّأت لهذه الظاهرة وشجّعت عليها، لإشغال الناس عن السياسة وتحييدهم عن الخوض بأمور الخلافة والأحقية بها، ولا سيما في ظلّ كثرة الأمويين الأحزاب ومعارضته لحكم.

ولعلّ الساسة الأمويين كانوا يشجعون ظاهرة النقائض التي كانت تخدم منطلقاتهم السياسية ، فانتشرت النقائض وكثر مؤيدوها، وشهد سوق المربد بالبصرة أكبر التظاهرات الشعرية ومبارزاتها، والتفّ الناس حول الشعراء بين مؤيّد ومعارض، فغدت النقائض تصوّر الحياة الاجتماعية أحسن تصوير، وكانت القيم الأساسية من مُثُلٍ شرف النسب والنخوة والحميّة والنجدة والكرم، وكان الحلم والوفاء من الفضائل التي يتجاذبها المتناقضون، فيزعم الشاعر لنفسه ولقومه السيادة والسبق في ذلك، وقد أضحت النقائض عامة، ونقائض جرير خاصة، سجلّاً زاخراً بأيام العرب ومعاركهم وغزواتهم وعاداتهم وتقاليدهم في الجاهلية وفي الإسلام .

ومن هنا فإنّ نقائض جرير كانت خير شاهد على تراجعٍ في الأداء المجتمعي نحو تهذيب العقلية العربية من أدران العادات الجاهلية، فكان المأمول أن يصقل الشعر ما علق في الفكر من عادات مقيتة حاربها الإسلام وحثّ على تجاوزها، ولكنّ السياسة لا تنفصل عن الحياة، فأسهمت في تغذية تلك النعرات الطائفية بما أعادته إلى الذاكرة وأحيته في النفوس، ومع هذا الحضور لتلك الأفكار والمعاني المتصادمة مع الإسلام ومبادئه،إلا أنّ النقائض أسهمت في ديمومة الفنّ الشعري واستمراره من ناحية بناء القصيدة القوية بلغتها، والرصينة بتراكيبها وأسلوبها، الأمر الذي أسهم في تقدّم الفنّ الشعري ومسيرته الرائدة، على الرغم من العودة به فكريّاً إلى تلك الحياة القبلية الجاهلية.

مصادر البحث ومراجعه

- القرآن الكريم

١- جاد المولى، محمد أحمد وآخرون، "أيام العرب في الجاهلية"، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٦١م.

٢- حرب، محمد خير، "المعجم المدرسي"، ط وزارة التربية، سوريا، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

٣- الحموي، ياقوت، "معجم البلدان"، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

٤- الحموي ياقوت، "معجم البلدان"، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٩٠م.

٥- الشايب، أحمد، "تاريخ النقائض في الشعر العربي"، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٥٤م.

٦- ضيف، شوقي، "التطور والتجديد في الشعر الأموي"، دار المعارف مصر، ١٩٥٢.

٧- ضيف، شوقي، "العصر الإسلامي"، ط٥، دار المعارف، مصر. د.ت.

٨- عبد الرحمن، عفيف، "الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي"، دار الأندلس، ١٩٨٤م.

٩- ابن منظور، "لسان العرب"، دار صادر، بيروت.

الدواوين

١- الأخطل، "الديوان"، مطابع أوفست علي بن علي، الدوحة، قطر، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢.

٢- جرير، "الديوان"، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣- جرير والفرزدق، "النقائض"، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٤- جرير والأخطل، "النقائض"، تعليق: أنطون صالحا في اليسوعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٢٢م.

٥- الفرزدق،"الديوان"،تحقيق:الدكتور شاكر الفحام،دار الفكر،دمشق،١٩٧٧م.